العلاقة بين العتبات النصية و المتن
في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة
(دراسة نقدية)

ملكة علي كاظم الحداد
مدرس مساعد
جامعة الكوفة / كلية الآداب

خلاصة البحث :

تعد العتبات النصية آلية جديدة يلجا اليها الناقد لمراودة آفاق النص ، وهي في الوقت ذاته مفتاح مهم للكشف عن فنية النص وشعريته .

ولذلك فقد حظيت دراسة النصوص ، أدبية كانت أم نقدية ، من منظور عتباتي باهتمام بالغ في الدراسات الحديثة ، بعد ان أعيد الاهتمام القرائي للعتبات النصية التي أغفلتها الدراسات النقدية القديمة ، والتي كان لها دور مهم في الحديث عن شعرية النص من خلال العلاقة الثرية والمتنوعة التي تحصل بين العتبات والمتن .

ولا شك في أن محاولتنا الكشف عن العلائق النصية بين كل من المتن ، وبعض متعالياته ، كالعنوان والمقدمة ، في مضمار النقد والكتب النقدية ، يمكن أن تسهم في اغناء مسيرة النقد، قديمه وحديثه ، إذ أنها توقفنا بشكل مفصل ودقيق على كثير من مسارب الفكر المنهجي التأليفي للناقد أو المؤلف ، ومدى نجاحه في القبض والسيطرة على مجمل خيوط المنهج في جميع أقسام المُؤَلَّف ، بحيث لا يعتوره تناقض أو اختلاف .

وكان الأنموذج الذي اخترناه للتطبيق (كتاب الشعر والشعراء) خير أنموذج على ذلك ، إذ تتبعنا فيه مدى العلائق والترابط بين العنوان والمقدمة والمتن ، الذي كشف لنا عن عقلية منهجية صارمة ودقيقة لمؤلفه ، إذ ان العنوان جاء مختزلا ومكثفا ، لكنه في الوقت ذاته دالا دلالة تامة ودقيقة على مقصد ابن قتيبة في متن كتابه أو مقدمته على السواء ، كما ان المقدمة لم تخرج ، على الرغم من إيجازها أيضا ، عن هذه الغاية من حيث تقديمها للمتن وإضاءة أهم أقسامه و مضامينه .

وان كان هناك تناقض يؤخذ على ابن قتيبة ، نقديا وليس منهجيا ، في كتابه ، فهو التناقض الذي وقع فيه عندما ألزم نفسه بعدم سلوك مسلك من سبقه في التقليد ، في مقدمته ، ولكنه خالف ذلك في المتن حينما جعل الالتزام بهيكلية القصيدة العربية القديمة شرطا من شروط جودة الشعر ونجاحه .

مدخل :

جاءت هذه الدراسة لتصبّ في رافد الدراسات النقدية التي تُعنى بالموروث العربي القديم ، ولكن بطريقة طرح معاصرة ، لتجمع بين عمق الأصالة وغنى الحداثة ، وهي بذلك تؤكد أهمية قراءة معظم ما جاء به تراثنا العربي النقدي القديم وفق استبصاره نظرة حداثوية معاصرة تنسجم مع أحدث وأثرى ما جاء به الجهد النقدي الحديث من آراء ونظريات .

ولعل من أبرز تلك الآراء والجهود ، تلك التي اهتمت بدراسة العتبات النصية أو المتعاليات النصية بحسب جيرار جينيت ، إذ لم تعد أهمية النص ، نقدياً كان أم أدبيا ، من منظور عتباتي رهينة بما يحمل متنه من إمكانات دلالية ، بل اتسعت تلك الأهمية جاذبة إليها ما حول المتن بوصفها مرتكزات لا تقل أهمية عنه . والحديث عن العتبات النصية والنصوص الموازية والمحيطة هو في أساسه حديث عن شعرية شكل ، يسهم فيها الخطاب الماحولي أهمية ليست بالهينة في فهم المتن والتعامل معه قرائياً[1]

اذ تبدو العتبات موضوعا جديرا بالاهتمام ومادة خصبة للنقد عموما والنقد الإيديولوجي بكيفية حصرية ، وما زال موضوعها في الثقافة العربية القديمة في حاجة ماسة إلى من يسبر أغواره ، ويعيد النظر في دراسته ويصفه .

ويمكن القول بأنه يمكن النظر إلى مفهوم النص المحيط أو العتبات النصية من زاويتين: الأولى هي النظر إليه بوصفه مصطلحاً حديثاً أستقطب اهتمام الدرس النقدي بعد التطور الكبير في مجال الطباعة .

الثانية: هي النظر إليه بوصفه وعياً ساير الخطابات الفكرية من دون أن يعرض نفسه بوصفه مفهوماً بل بوصفه وظيفة توفر عليها الخطاب الفكري العربي .فقد باتت العتبات النصية ، وفق المفهوم الحديث ، تعطي دوراً وظيفياً بالارتباط مع النص، إذ إن العلاقة القائمة بين العتبات والنصوص التي تنتمي إليها هي على الأصح علاقات تفاعلية، من دون أن ينفي ذلك وجود استقلالية نسبية لكل جانب [٢]

وعليه فالنص الموازي عبارة عن نصوص مجاورة ترافق النص ، في شكل عتبات وملحقات قد تكون داخلية وخارجية ، مثل (العنوان ، العنوان الفرعي ، العنوان الداخلي ، الديباجات ، التذييلات ،التنبيهات ، التصدير ، الحواشي الجانبية ، الحواشي السفلية ، الرسوم ، نوع الغلاف)[٣] لها وظائف عدة دلالية وجمالية وتداولية ، فالنص الموازي بأنماطه المتعددة ووظائفه المختلفة هو كل نصية شعرية أو نثرية تكون فيها العلاقة- مهما كانت خفية أو ظاهرة - بعيدة أو قريبة بين نص أصلي هو المتن ونص آخر يقدم له أو يتخلله مثل العنوان المزيف والعنوان والمقدمة والاهداءات والتنبيهات والفاتحة والملاحق والذيول والخلاصة والهوامش والصور.... الخ وغيرها من توابع النص والمتممات له، مما ألحقه المؤلف أو الناشر أو الطابع داخل الكتاب أو خارجه مثل الشهادات والمحاورات والإعلانات وغيرها سواء لبواعث إبداعه وغاياته أو لإرشاد القارئ وتوجيهه حتى يضمن له القراءة المنتجة .[٤]

وليس من شك في أن اغلب الدراسات الحديثة التي اشتغلت بموضوعة النص الموازي ، أو العتبات النصية ،أو التناص في الخطاب النقدي والبلاغي لم تلق تلك الشهرة التي بلغها هذا المصطلح في المجال الإبداعي. ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا ان الدراسات التي تناولت النصوص أو الكتب النقدية من منظور عتباتي تكاد تكون نادرة جدا ، ولعل لذلك ما يسوغه ، إذ ان هدف الدراسات العتباتية الكشف عن العلاقة التفاعلية بين كل من العتبات والمتن ، وهذه التفاعلية انما تنشأ من خلال ما يستكشفه الناقد من علائق كامنة قابلة للتأويل بين النص الأصلي من جهة ، والنصوص المحيطة من جهة أخرى ، تنتظم تحت مسرب الشعرية بالدرجة الأساس ، لتنفتح على أفق اللغة الفنية مزدوجة الدلالة ،ولا شك في ان ذلك على العكس من مقصدية النصوص والكتب النقدية التي تعتمد الدلالات الواضحة المحددة ، أي ان أفق التأويل فيها يكاد يكون محدوداً وضيقاً ، بوصفه ذو وظيفة معرفية بالدرجة الأولى .

وهنا سؤال مهم يطرح نفسه ، ما هي حدود الاختلاف بين الحوارية النقدية والحوارية الأدبية أو هل يمكن ان يوجد هناك تناص ، داخلي أو خارجي ،حقيقي بين النصوص في الخطاب النقدي ؟.

وعليه فنحن ننطلق في هذه الدراسة من حقيقة كون القراءة النقدية قراءة إبداعية أيضا،فقد ذهب بارت في هذا السياق إلى عد النقد إبداعا مؤكدا أن إمكانات النقد الراهنة تتمثل في أن الناقد قد أصبح كاتبا بمعنى الكلمة، وأن النقد غدا من الضروري أن يقرأ ككتابة[٥]، فالنقد لغة تسهم في تقديم معرفة واصفة وشاملة للنص على نحو يبشر بكتابة إبداعية جديدة.

ولذلك يمكن القول أن ما يفيده الخطاب النقدي من تقنيات التناص الفني يمكن ان يتمثل في طريقة اشتغال المتناصات ، التي تنسجم مع أهم الوظائف التي يؤديها التناص في أشكاله وأصنافه عامة

ونحن إذا تصفحنا كتب النقد العربي القديم في المشرق والأندلس سنجد مصنفات كثيرة تهتم بعتبات النص الموازي لا سيما عند الكتاب الذين عالجوا الكتابة والكتَّاب كالصولي وابن قتيبة والكلاعي وابن

وهب الكاتب وابن الأثير ومحمد علي التهانوي وغيرهم فالصولي مثلا ركز كثيرا في كتابه أدب الكتاب على العنونة وفضاء الكتابة وأدوات التحبير والترقيش وكيفية التصدير والتقديم والتختيم[٦] .

من هنا جاء وقوفنا على احد الكتب النقدية في القرن الثالث للهجرة ، وهو كتاب ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، محاولين البحث في طبيعة العلاقة الرابطة بين عتبتين نصيتين توافر عليهما الكتاب ،هما: العنوان والمقدمة مع المتن ، ولعل معظم الكتب النقدية ، ولا سيما القديمة منها ، لا تخلو من هاتين العتبتين ، ولا نجانب الصواب إذا قلنا ان الناقد القديم قد أولى عناية خاصة بهاتين العتبتين لما لهما من اثر واضح في إضاءة المتن والكشف عن مضامينه من جهة ، فضلا عن دورهما في الكشف عن منهج المؤلف الفكري والتاليفي من جهة أخرى ، الذي يأتي المتن في ما بعد ليدلل عليه ، وأحيانا يتناقض مع بعض جوانبه ، وقد حاولنا الوقوف على معنى ومرجعية كل عتبة قبل الخوض في الحديث عن كتاب ابن قتيبة .أما أهم ما حققته هذه الدراسة فقد عرضنا لها على شكل إشارات وجيزة في ملخص البحث .

عتبة العنوان :

هي مجموعة من العلامات اللسانية التي يمكن أن تدرج على رأس نص لتحدده ، وتدل على محتواه وتغري الجمهور المقصود بالقراءة [٧] .

والعنوان نوعان : العنوان السياقي : وهو الذي يكوّن وحدة مع العمل على المستوى السيميائي ويملك وظيفة مرادفة للتأويل عامة [٨] و العنوان المسمي ،((وهو الذي يستعمل في استقلال عن العمل لتسميته والتفوق عليه سيميائياً))[٩].

ويرتبط الفهم العام للعنوان بكونه ((مفتاحاً إجرائياً في التعامل مع النص في بعديه الدلالي والرمزي)) [١٠] .

ويمكن في ضوء هذا الفهم قراءة العنوان قراءة نوعية للمعنون بوصفه (ما قلَّ ودلَّ)[١١] ، إذ تشكّل العناوين عامة سواء أكانت عناوين لمؤلفات علمية أم لنصوص إبداعية أم عناوين لأي نشاط إنساني ، بنى حاملة لدلالة قصوى تقوم على تكثيف دلالة المعنون العامة[١٢]، وقد شهد العنوان بفعل التطور التاريخي تحولاً على مستوى بنائه ووظائفه بشكل ملفت للنظر [١٣] .

فقد بات معروفاً اليوم مع النقد الحديث ومنذ نشأة الشكلية والبنيوية ،وخصوصاً مع علم العلامات ، أن تحليل العنوان له أهمية كبيرة من حيث هو نص صغير يضم وظائف شكلية وجمالية ودلالية تعد مدخلاً لنص كبير وكثيراً ما يشبهونه بالجسد رأسه هو العنوان[١٤].

والعنوان بوصفه مظهراً وقسماً من أقسام الفعاليات النصية يُعدّ بمفرده ـ كما يرى جيرار جينيت ـ جنساً أدبياً ، وهذا يعني أن له مبادئه التكوينية ومميزاته التجنيسية [١٥] .

ولاشك في أن للنص أثرا فاعلاً في توجيه صياغة العنوان وذلك انطلاقاً من أن ثمة توازياً شكلياً ودلالياً بين العمل وعنوانه [١٦]، ومن هنا يبرز اثر النص في الكشف عن دلالة العنوان.

ونلاحظ تعدد الوظائف المنيطة به على صغر حجمه أو التي تحتم عليه في النهاية أن يكون " دلالة قصوى محملة بالكثير من الإيحائية والتعبيرية المكثفة . وثمة خاصية جديرة بالالتفات تمس بقية العنوان وتؤثر تأثيراً واضحاً في توجيه دلالته ، وهي تذييل العنوان ببنية شارحة اصطلح على تسميتها (التصديرات) ، ولعل هذا ينطبق على عنوانات القصائد والدواوين الشعرية أكثر منه على الكتب النثرية والنقدية .

والتصديرة : مقطع لغوي يتلبس بشكل جملة أو عبارة تتضمن إهداءً أو قولاً شارحاً

ويرصد جينيت للتصدير وظيفتين[١٧] :

١. وظيفة توضيحية : تعمل على إضاءة العنوان وتسويغه .
٢. وظيفة بنائية : ويشكل التصدير بناءً على هذه الوظيفة عتبة توصل العنوان بالبناء النصي[١٨].

١- عنوان الكتاب :

تحيل البنية الظاهرية للعنوان إلى بنية عميقة ، ولا يمكن فهمه أو تأويله إلا بالعودة إلى هذه البنية وهي المؤلفة من : المسند إليه +ّ المسند + مضاف إليه + حرف عطف(ربط)+اسم المعطوف والتأويل أو التقدير: هذا كتاب الشعر والشعراء .

وقد مر هذا التركيب بعدة تحولات ، حيث حذف المسند إليه في التحول الأولى للإيجاز ولدلالة الحال عليه،والعرب كثيرا ما تحذف في مثل هذه المواضع ، ومن ثم أقيم المسند(كتاب) مقام المسند إليه المحذوف في التحول الثاني ، ثم حذف المسند الخبر- المضاف ،وأقيم المضاف إليه مكانه في التحول الثالث ،ثم عطف على المضاف إليه بالبنية المختزلة (الشعراء)بواسطة حرف العطف ، وبهذا أحيل العنوان إلى بنيته السطحية الظاهرة ، كتلك التحولات السابقة ودالا على مدلوله.

وقد ورد في النسخة التي اعتمدنا عليها ، عنوان آخر معطوف على العنوان الأول بحرف العطف (أو)،وهو (طبقات الشعراء) ، وقد نوّه المحقق إلى ان العنوان الثاني جاء في بعض كتب التراجم ، لأنه غير موجود في النسخة الثانية المحققة للكتاب [١٩] ، ولا شك في أن العنوان الأول أكثر تناسبا مع المتن وألصق دلالة على مقصد ابن قتيبة في مؤلفه، ذلك أن ابن قتيبة ،وان تعرَّض في القسم الأكبر من كتابه لذكر الشعراء ومنازلهم وأخبارهم ، إلا ان ذلك لا ينفي أو يقلل من الجهد النقدي المهم الذي خص به الشعر، ولا سيما في مقدمة كتابه أو في الجزء الأول من المتن ، وهو جهد ينماز عن جهود سابقيه من النقاد والمؤلفين ، في بعض المسائل النقدية ، فضلا عن إحاطته بمجمل أركان العملية الإبداعية (الشعر،الشاعر،المتلقي)، وسيأتي تفيصل ذلك في متن البحث ان شاء الله .

ولا شك في ان بنية العنوان جاءت مطابقة تماما لمراد المؤلف في تقسيمه للكتاب ، الذي جاء على قسمين : الشعر، وأخبر فيه عن أقسام الشعر ، وطبقاته ، وعن الوجوه التي يُختار الشعر عليها ويستحسن لها إلى غير ذلك . ، اما القسم الثاني فقد خصه بالحديث عن الشعراء وأخبارهم ومنازلهم ..... الخ.أي أن العنوان هنا أعطى دورا وظيفيا في الكشف عن جوهر المتن ، وأقسامه .

٢- عتبة المقدمة :

المقدمة لغة :

جاءت المقدَّمة في جميع المعاجم ،القديمة منها والحديثة ،على أنها أول كل شيء وبدايته وواجهته الأولى ،وفي المعاجم القديمة ، مقدمة الجيش بكسر الدال :أوله ، الذين يتقدمون الجيش [٢٠]، ويقال :ضرب مقدم وجهه .. والمقدمة ((ما استقبلك من الجهة ،والجبين ، والمقدمة :الناصية والجبهة))[٢١].

والمقدمة من كل شيء أوله ، ((والمقدمة:الناصية والجبهة))[٢٢].

المقدمة اصطلاحا :

المقدمة من الكتاب ((فصل يعقد في أوله ويمهد لمضمونه بمعناها ، والمقدمة من البحث : التمهيد له)) [٢٣]،وهي عرض أولي أو مدخل أو تصدير للبحث المتصل بأحد العلوم أو إحدى النظريات ، وتتعلق على ما يتوقف عليه الشروع في العلم ،كرسمه وتحديد موضوعه ،وبيان غرضه وفائدته .... [٢٤]

والمقدمــة : هي العتبة الشارحة للكتاب بعامة في النثر ، وظيفتها تهيئة القارئ إلى كيفية التعامل مع المتن قرائياً ، وقد استطاعت المقدمة أن تحاور المتن ملقية بظلالها على ما فيه من مضامين وآراء .

وقد تعددت تسميات المقدمة في الأدب العربي قديما ؛فمنهم من أطلق تسمية الخطبة على مقدمة الكتاب ،كما جاء في المعجم الوسيط ((الخطبة من الكتاب صدره))[٢٥]. ومنهم من اطلق تسمية الفاتحة كما جاء في القاموس المحيط : ((فاتحة الشيء :أوله)) [٢٦]، ومنهم من خصّ الفاتحة بالنثر والخطب غير الشعر .

وتحدث الدكتور احمد مطلوب عن افتتاحات الكلام ، فقال هي : الابتداء أو حسن الافتتاح ، وهذه تسمية التنوخي ،فقال : ((واما افتتاحات الكلام وخواتمه فينبغي لمن نظم شعرا أو ألف خطبة أو كتابا ان يفتتحه بما يدل على مقصده منه ،ويختمه بما يشعر بانقضائه))[٢٧].

وقد وردت تسمية الابتداء والابتداءات والمبادئ في نصوص كثير من النقاد والبلاغيين ، سواء على الشعر أم النثر، فقد اشترطوا واجمعوا على ان الأديب يجب ان يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه ،حتى

يكون كلامه أعذب لفظا ،وأحسن سبكا واصحّ معنى ،وهذه المواضع هي : الابتداء ، التخلص ،والانتهاء .

كما استخدم مصطلح (الاستهلال)، وربما كان اخصّ بالشعر منه بالنثر ؛فالاستهلال هو مطلع النص ،وفي التجربة النقدية عامة ، ومع أي نص إبداعي لا يمكن الوقوف كليا على خصائص العمل الفني وقيمه إلا من خلال المعرفة الدقيقة لأجزاء ذلك العمل وعناصره ، والاستهلال من اهم هذه العناصر ،ان لم يكن المفتاح لها كلها[٢٨] .

وقد شهدت المقدمات في القرن الثالث للهجرة نضوجا واضحا في التأليف ،ووعيا من المؤلفين لحقيقة ما يؤلفونه ،لذلك عدّ هذا العصر، العصر الذهبي لنضوج المقدمات وتكوينها المنهجي[٢٩] .

وقد تطورت هذه المقدمات بمرور الزمن ودخلت فيها عناصر كثيرة لا حدود لها ، فكان لكل مؤلف خطته وموضوعه الخاص ، إذ لم تكتف بعض مقدمات المؤلفات بان تحمل لنا الآراء النقدية والحوادث الأدبية ، أما احتفلت بالكثير من الفوائد التاريخية ،كما احتفلت بالإشارة إلى الحالات الاجتماعية والطرائف الأدبية .

وقد اختلف منهج الكتاب في تأليف مقدماتهم ، ومدى التزامهم بتطبيق ما جاء في المقدمة داخل المتن ((فالالتزام المنهجي يكاد ان يكون من المعالم المهمة التي تبدو واضحة في المقدمات .. والواقع ان هذا الالتزام قد تأرجح بين الدقة المتناهية في تنفيذ الخطة وبين الاضطراب والخروج عن الخطة والهدف المعلن))[٣٠]

ونستطيع القول ان المقدمات بدأت تنضج في نهاية القرن الثالث للهجرة عند ابن سلام في طبقات فحول الشعراء ،وابن قتيبة في الشعر والشعراء ،مرورا بالقرن الرابع عند قدامة بن جعفر ... وصولا إلى الامدي ، الذي يعدّ في قمة التأليف النقدي ،لما تضمنته مقدمة كتابه (الموازنة بين أبي تمام والبحتري) من آراء نقدية ومنهجية عالية في تاريخ النقد العربي القديم.

والمقدمات أنواع ، فمنها المقدمات الموضوعية كما في كتب الجاحظ والمقدمات التعليمية كما هو عند المبرد وابن قتيبة والقالي والمقدمات المنطقية الرياضية كما في فهرست ابن النديم، والمقدمات الطويلة التي جاءت على شكل رسالة كما في أخبار أبي تمام للصولي ، والمقدمات النقدية كما في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، ومقدمات رافضة ثائرة كما في مقدمة العقد الفريد لابن عبد ربه

مقدمة الكتاب :

يمكننا إيجاز أهم المسائل التي عرض لها ابن قتيبة في مقدمة كتابه بما يأتي :

أ . الأخبار عن تراجم الشعراء : فهو كتاب أخبر فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم ... ومما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره ، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم ومعانيهم ، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون ،وأخبر فيه عن أقسام الشعر ، وطبقاته ، وعن الوجوه التي يُختار الشعر عليها ويستحسن لها إلى غير ذلك .

ب . الإكثار من شعر المشهورين من الشعراء الذين يقع الاحتجاج بشعرهم ، ويعرفهم جُلّ أهل الأدب .

ج . استبعاد من كان غلب عليه غير الشعر .

د .الاعتداد بمعيار الجودة ، وتخطي معيار الأصالة (القِدَم) ، فلم يسلك فيما ذكره من شعر كل شاعر مختاراً له سبيل من قلّد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظر إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه أو إلى المتأخر (منهم) بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظر- يقول - بعين العدل على الفريقين وأعطى كلاً حظّه ووفر عليه حقه. يقول: " فإني رأيتُ ... من يستجيد الشعر السخيف لتقدّم قائله ويضعه في متخيره أو يُرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا إنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله، ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خصّ به قوماً دون قوم ... . "

هـ .الإيجاز وعدم الإطالة في العرض ،يقول: ((وكان حق هذا الكتاب أن أودعه الأخبار عن جلالة قدر الشعر وعظيم خطره، وعمن رفعه الله بالمديح، وعمن وضعه بالهجاء وعما أودعته العرب من الأخبار النافعة، والأنساب الصحاح، والحكم المضارعة لحكم الفلاسفة، والعلوم في الخيل، والنجوم

وأنوائها ....غير أني رأيت ما ذكرت من ذلك في كتاب العرب كثيراً، كافياً، فكرهت الإطاعة بإعادته، فمن أحب أن يعرف ذلك ـ ليستدل به على حلو الشعر ومره ـ نظر في ذلك الكتاب، إن شاء الله تعالى))[٣١] .

نقد المقدمة :

منذ السطور الأولى وقبل الولوج في الحديث عن منهجه وأفكاره يحدد ابن قتيبة غايته من تأليف كتابه (الشعر والشعراء) . قائلا : ((هذا كتاب ألفته في الشعراء ، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم، وأقدارهم، وأحوالهم في أشعارهم، وقبائلهم، وأسماء آبائهم، ومن كان يعرف باللقب أو بالكنية منهم. وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطاء في ألفاظهم أو معانيهم، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون. **وأخبرت** فيه عن أقسام الشعر وطبقاته، وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها إلى غير ذلك مما قدمته في هذا الجزء الأول. وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء، الذين يعرفهم جل أهل الأدب، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب، وفي النحو، وفي كتاب الله عز وجل، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم)).[٣٢]

وهذه الغاية تصبُّ في محورين ، كما تشير إلى ذلك عتبة العنوان ، يتناول الأول منهما (الشعر) ، ويختصّ الثاني بـ (الشعراء) ، ونجد انه قدم الحديث عن القسم الثاني من المتن ، والذي يدور حول الشعراء وأقسامهم أخبارهم ، كما هو واضح من كلامه أعلاه ، وان كان في ذلك ما يدل على تناقض مع ترتيب التركيب العنواني ، الذي قدم الشعر على الشعراء ، فإننا نجد لذلك ما يسوغه ، إذ ان الكتاب في مجمله ، وفي جزئه الأكبر جاء للحديث عن الشعراء والترجمة لهم ، أي لغرض تاريخي في المرتبة الأساس ، أما الكلام عن الشعر وأقسامه وبعض متعلقاته ، فقد جاء مبتسرا وموجزا على شكل إشارات نقدية في القسم الأول من المتن حيث قال : ((**وأخبرت** فيه عن أقسام الشعر وطبقاته، وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها إلى غير ذلك))[٣٣] وبذلك يكون المؤلف قدم الأهم على المهم ، ليعود فيلتزم بحرفية العنوان في متن الكتاب ، حيث افرد القسم الأول منه للحديث عن الشعر ، وأخّر الحديث عن الشعراء في القسم الثاني .

أما في الحديث عن الشعراء ، فقد ذكر ابن قتيبة أنه سيعرض في كتابه لترجمة بعض الشعراء وأخبارهم وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم وقبائلهم ... الخ . وما أخذته العلماء من الغلط والخطأ في ألفاظهم ومعانيهم وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون[٣٤] .

وعمله هنا قريب من عمل سابقه (ابن سلام) في " طبقات فحول الشعراء " ولعل هذا ما يسوّغ لمحقق كتابه أن يضع تحت عنوان الكتاب (الشعر والشعراء) عنواناً آخر معطوفاً على الأول بـ (أو) هو (طبقات الشعراء) لأن الكتاب في أساسه جاء لهذه الغاية ، وهي التحدث عن ترجمة الشعراء ومنازلهم وأحوالهم فضلاً عن شعرهم ، وقد احتلّ هذا القسم الجانب الأكبر من الكتاب ، أما الموضوعات الأخرى التي عرّج عليها ابن قتيبة في مقدمة كتابه بإيجاز ، وفصّل قليلاً الكلام عنها ، من ثمّ ، في متن كتابه ، فلم تتجاوز سوى قسماً يسيراً جداً من الكتاب . ولعله تأثر بذلك بابن سلام في كتابه السابق ، أو لأن الظروف لم تكن بعد مواتية لخلق مناخ نقدي يتسم بالمنهجية والدقة والوضوح ، كما صار الحال عليه أبّان القرن الرابع للهجرة فيما بعد ، فضلاً عن أن الحاجة الماسة إلى إحصاء الشعراء والترجمة لحياتهم وأقدارهم وأشعارهم كانت أكثر إلحاحاً في هذا الوقت من غيرها ، نظراً لارتباط هذا العقد بقضية الاحتجاج اللغوي والشاهد النحوي ... وهذا ما يأتي ابن قتيبة على ذكره صراحة في مقدمة كتابه ، فهو يقول أنه أكثر من ذكر شعر الشعراء المشهورين ، الذين يقع الاحتجاج بشعرهم ويعرفهم جلّ أهل الأدب ، أما المغمورون أو الذين لم يُعرفوا بالشعر خاصة ، فلم يحظوا باهتمام ابن قتيبة في كتابه هذا ؛ فالشعر عند العرب ميزان الفصاحة ومدار البلاغة وعليه يُعتمد في الاحتجاج والاستشهاد بعد القرآن والسنة .

أما المحور الثاني فهو الشعر ، وقد تحدث ابن قتيبة بإيجاز عن بعض موضوعاته العامة ، ولعل من أكثر تلك الموضوعات استئثارا موضوع القديم والجديد وما يتصل به من كلام وجدل حول قضية اللفظ والمعنى ،التي وجدت لها تربة خصبة في بيئة القرن الرابع للهجرة فيما بعد ، ولاسيما مع تنامي وتعدد وتطور الدراسات النقدية والبلاغية التي تهتم بقضية الإعجاز القرآني . ولذلك يذكر ابن قتيبة في مقدمته أنه عمد للحديث في كتابه : عن أقسام الشعر وطبقاته ، وعن الوجوه التي يُختار الشعر عليها ويُستحسن لها إلى غير ذلك. وسيأتي الكلام مفصّلاً عن هذه الأقسام في متن الكتاب كما سنرى لاحقاً .

وهو يسنُّ في مقدمته المنهج والطريق الذي سيسير عليه في متن كتابه ، والذي يرتكز بالدرجة الأساس ، كما يقول هو ، على مبدأ (العدل والموضوعية) في حكمه على الشعراء محاولاً الابتعاد عن سلك طريق من سبقوه بالتعصب للقديم أو الجديد ((.... فكل من أتى بحسن في قولٍ أو فعل ذكرناه (له) وأثنينا به عليه ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ، والأحداث سنة، كما ان الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه)) [٣٥] .

فهو يقرر منذ المقدمة أنه سيكون بمنأى عن سيطرة الموروث الذوقي المهيمن على الساحة النقدية والأدبية الذي وقع تحت طائلة (الزمن) أو جعله مقياساً رئيساً في الفصل بين شعر الشعراء ، ولذلك يقول " ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمة ، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل على الفريقين، وأعطيت كلا حظه، ووفرتُ عليه حقه ... ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خصّ به قوماً دون قوم بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كلّ دهر ، وجعل كل قديم حديثاً في عصره . ولعل أهم ما نخرج به من هذا الكلام شيئين :

الأول : مخالفة السائد ، وذلك بإسقاط قانون (الزمن) و إبداله بقانون آخر هو قانون (الجودة والرداءة) ، فهو يقول ((فكل من أتى بحسن في قول أو فعل وكنّاه (له) وأثنينا به عليه، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ... كما أن الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه))[٣٦] .

أما الثاني : إخراج الشعر عن كل ما يمكن أن يتعلق به من أمور لا ترتبط ارتباطاً مباشراً بالعملية الفنية ، مثل مكانة الشاعر ونسبه وعمله وشرفه ، فالشعر بوصفه عملية فنية إبداعية له قانونه الداخلي الخاص به ، وعليه يجب فصله عن أية سياقات أو اشتراطات خارجية . وهذه بلا شك نظرة متقدمة للشعر خاصةً ،والعملية الإبداعية عامةً ، تأسست عليها العديد من نظريات ومناهج النقد الحديث فيما بعد ، كالأسلوبية والبنائية وغيرها من المناهج التي تعتمد البنية الفنية الداخلية للعمل الأدبي بعيداً عن سياقاته التاريخية والدينية والاجتماعية ... الخ .

وبهذا حاول هذا الناقد تخطي مرحلة من مراحل الالتزام ، التي تقيد بها غيره من النقاد، واجتاز طوراً من أطوار النقد الشكلي الذي فرضته الأعراف السائدة طوال الحقبة التي سبقت عصره ، ولكن يبقى السؤال .. إلى أي مدى استطاع ابن قتيبة تطبيق هذا المنهج الذي اشتقه في مقدمته في متن كتابه ؟!! ذاك ما ستجيب عنه السطور القادمة .

أما المسألة الأخيرة التي أشار لها في مقدمة كتابه فهي الكلام عن بواعث قول الشعر ، وقد أكد ابن قتيبة أنه سيتناول هذه المسألة بإيجاز واقتضاب داخل المتن لاستطراده في ذكر هذه المسألة في كتاب سابق له ، وهو كتاب " العرب " .

من كل ما سبق نلاحظ ان ابن قتيبة كان وفيا في التزامه بما اقره في عنوان الكتاب (الشعر والشعراء) ، في مقدمته ، لأنه صب جل اهتمامه في هذه المقدمة على ركني العنوان الرئيسين : الشعر و الشعراء فلم يخرج عنهما .

ولا بد لنا من التنويه إلى مسالة مهمة قبل الخروج من الحديث عن المقدمة ، تتعلق بحدود هذه المقدمة ، إذ إننا وجدنا أن كثيرا من الدارسين والنقاد قد خلطوا بين حدود المقدمة ومتن الكتاب فلم يفصلوا بينهما ، فنراهم يتحدثون عن القسم الأول من متن الكتاب بوصفه جزءا من المقدمة ، ويعدون كلام ابن قتيبة عن أقسام الشعراء وتراجمهم بداية المتن [٣٧]، وهذا خلاف ما قصد إليه المؤلف ، أو ما استنتجناه من كلامه ،

سواء في العنوان أو في المقدمة ، فحدود المقدمة واضحة وجلية ، وعباراته في المقدمة تؤكد أهمية هذا الفصل ، ولعل ما يسوغ ذلك الخلط أن تلك الدراسات النقدية لم تحتفِ بالعلائق النصية بين النص ومتعالياته (العنوان ، المقدمة ، التصديرة .... الخ) ، قدر اهتمامها بالنقد القديم وقضاياه ومسائله .

ولما كانت عتبة المقدمة مفصلا مهما من مفاصل دراستنا التي تتناول طبيعة العلاقة بين عتبتي العنوان والمقدمة مع المتن ، فقد توجب علينا تعيين الحدود الفاصلة لكل عتبة فضلا عن المتن .

ودليلنا على ذلك يتأسس على كلام المؤلف نفسه في العنوان أولا ، الذي يدل على أن الكتاب سيتخصص في الحديث عن قسمين أو جزأين : الشعر، والشعراء ؛ وفي المقدمة ثانيا ، حين يتكلم بشكل صريح عن قسمي الكتاب قائلاً : ((هذا كتاب ألفته في الشعراء ، **أخبرت** فيه عن الشعراء وأزمانهم، وأقدارهم، وأحوالهم في أشعارهم، وقبائلهم، وأسماء آبائهم، ومن كان يعرف باللقب أو بالكنية منهم. وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم أو معانيهم، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون. **وأخبرت** فيه عن أقسام الشعر وطبقاته، وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها إلى غير ذلك مما قدمته في **هذا الجزء الأول**)) . فهو كما نرى يشير في نهاية هذه العبارة إشارة واضحة إلى الجزء الأول من المتن ، والذي عرض فيه للشعر وأقسامه وبعض قضاياه .

المتن :

أما المتن لغة :((فهو يدلّ على صلابة في الشيء مع امتداد وطول)) [٣٨]ومتن الرمح والسهم : وسطهما ،وفي القاموس المحيط ((المتن من السهم :ما بين الريش إلى وسطه))[٣٩].

والماتن هو صاحب نص الكتاب ،خلاف الشارح كما يقول جبور عبد نور ،وهو الجزء الرئيس من المؤلّف .

وقد اجمع عدد من المحدثين أيضا على ان متن الكتاب هو الأصل الذي يشرح وتضاف إليه الحواشي .

متن كتاب الشعر والشعراء :

أولا : يأتي ابن قتيبة في بداية القسم الأول من المتن على ذكر أقسام الشعر وهي عنده أربعة أقسام أو أضرب :

١. حَسُنَ لفظُهُ وجادَ معناه ، وهو يذكر مجموعة من الأبيات ، ويستشهد عليها ببعض ما قاله النقاد من قبله من أحكام ، ومن ذلك : حدثني الرياشي عن الأصمعي قال هذا أبدع بيتٍ قالته العرب ،

والنفسُ راغبةٌ إذا رَغبتَهَا   وإذا تُردّ إلى قليلٍ تَقنعُ

وهو يعلق عليه بقوله " لم يبتدئ أحد مرتبة بأحسن من هذا

أَيّتُهَا النفْسُ أجْمِلي جَزَعاً   إن الذِي تَحْذرِينَ قَدْ وَقَعَا

٣. وضربٌ منه حَسُنَ لفظهُ وحلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى ، ويأتي بنماذج من أبيات الغزل :

ولَما قَضَيْنَا مِنْ مِنى كُلّ حَاجةٍ   ومَسّحَ بالأرْكانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
وشُدتُ على حُدبِ المَهَارى رِحَالُنَا   ولا يَنْظُرُ الغَادي الذي هُوِ رائحُ
أخَذْنا بأطرافِ الأحاديثِ بَيْنَنَا   وسَالتْ بأعناقِ المَطِيّ الأَبَاطِحُ

وقول الشاعر :

إن الذين غَدوا بُلبّكَ غادروا   وَشَلاً بعينكَ ما يزالُ مَعِينَاً

وقول جرير المشهور :

إنّ العُيُونَ التي في طَرفِها حور   قتلنَنَا ثم لم يُحيينَ قَتْلاَنَا

تصرعنَ ذا اللبّ حتى لا حَراكَ بهِ   وهُنَّ أضعَفُ خَلْقِ اللهِ أرْكانا

٣. ضرب منه جاد معناه وقصُرت ألفاظه :

وهو إن وافق بعض العلماء فقد خالفهم في الحكم فعلاً كقول النابغة للنعمان :

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ في حِبَالٍ متينةٍ   تَمدّ بِها أيدٍ إليكَ نَوَازعُ

قال أبو محمد رأيتُ علماءنا يستجيدون معناه ولستُ أرى ألفاظه جيدة ولا مبينة لمعناه.. وعلى أني أيضاً لستُ أرى المعنى جيداً .

٤. ضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه كقول الأعشى :

وفُوها كأقاحيٍّ   غَذاهُ دائمُ الهَطِلِ

كما شِيبَ براحٍ بَا   ردٍ مِنْ عَسَلِ النحْلِ ردٍ من عسلِ النحلِ[٤٠]

ثانياً : ثم يأتي على ذكر الشعر وبدايته :

((سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن ، والآثار ، فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق لجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين ...

فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدّل بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ، ولم يطِل فيملّ السامعين ، ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد ... وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدين في هذه الأقسام فيقف على منزلٍ عامر أو يبكي عند مشيّد البنيان ، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر والرسم العافي .. أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير .))[٤١]

ثالثاً : و من ثم يذكر أن من الشعراء المتكلف والمطبوع: " فالمتكلف هو الذي قوّم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النظر بعد النظر، كزهير والحطيئة، وكان الأصمعي يقول((زهير والحطيئة وأشباههما من عبيد الشعر لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين...

وكان الحطيئة يقول: خير الشعر الحولي المنقح المحكك ، وكان زهير يسمي كبرى قصائده، الحوليات))[٤٢] .

رابعاً : وبعد ذلك يتحدث عن دواعي قول الشعر : ((وللشعر دواعٍ تحثّ البطيء وتبعث المتكلف ، منها الطمع ومنها الشوق ومنها الشراب ومنها الطرب ومنها الغضب أوً يقال أيضاً انه لم يستدع شارد الشعر بمثل الماء الجاري والشرق العالي والمكان الخضر الخالي ...

ويقول أيضاً : وللشعر تارات يبعد فيها قريبه ويستصعب فيها ريّضه ، وكذلك الكلام في المنثور .

وهو يحدد بعض هذه الأوقات ، ومنها أول الليل قبل تغشّي الكرى ومنها صدر النهار قبل الغداء ومنها يوم شرب الدواء ومنها الخلوة في الحبس والمسير .. ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل الكاتب))[٤٣] .

خامساً: ثم يتحدث عن محاولته مخافة السائد والابتعاد عن التقليد **:** ((ولا أرى .. ولا أحسب أحداً من أهل التمييز والنظر ، نظر بعين العدل وترك طريق التقليد يستطيع أن يقدّم أحدا من المتقدمين المكثرين على أحد إلا بأن يرى الجيد في شعره أكثر من الجيد في شعر غيره)).[٤٤]

سادساً: ويتحدث عن أهمية السماع في الشعر ((وكل علم محتاج إلى السماع ، وأحوجه إلى ذلك علم الدين ثم الشعر ، لما فيه من الألفاظ الغريبة واللغات المختلفة والكلام الوحشي))[٤٥].

سابعا : ومن ثم يخوض في الحديث عن المتكلف والمطبوع : ((والشعراء أيضا في الطبع مختلفون منهم يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء ومنهم متيسر له المراثي .. ولم يعلق بشكل مفصل لتسويغ ذلك ،إنما اكتفى بذكر بعض الشواهد والأمثلة من الشعراء ...)).[٤٦]

ثامنا : ثم يأتِ على ذكر عيوب الشعر كالإقواء والإكفاء والإسناد والإيطاء والإجازة وعيوب الإعراب، كتسكين المتحرك، وقصر الممدود، وصرف غير المصروف... ويقول((ليس للمحدث أن يتبع المتقدم في استعمال وحشي الكلام، الذي لم يكثر، واستعمال اللغة القليلة في العرب كإبدالهم الجيم من الياء))[٤٧] .

تاسعا : ويبدأ الحديث في القسم الثاني من المتن ، عن الشعراء والترجمة لحياتهم وأخبارهم فيبدأ بذكر أوائل الشعراء ، وفقا للمنهج الذي اختطه في مقدمته .

نقد المتن :

كما وعدنا ابن قتيبة ، وكما اختط لنفسه في مقدمة كتابه " الشعر والشعراء " يبدأ المتن بالحديث عن أقسام الشعر ، وفقاً للمعيار الذي وضعه في مقدمة كتابه وهو " الجودة والرداءة"، فيقسم الشعر على أربعة أضرب بالاعتماد على الفصل الواضح بين اللفظ والمعنى وهي :

ضرب حسُن لفظه وجاد معناه ، أما الأمثلة التي يختارها ضمن هذا الضرب فهي التي تتوافق ونزعته العقلية وتوجهاته الفقهية ، أي التي تحمل مضامين أخلاقية وتصدر عن حكمة أو فلسفة ، كقول الشاعر :

أيتها النفس أجملي جزعا   ان الذي تحذرين قد وقعا

فهو يستجيد المعاني التي تتكلم عن الفضيلة والخير والأخلاق ، وهذا واضح أيضاً في الضرب الثاني : جاد معناه وقصرت ألفاظه فهو يضرب له مثالاً ، يقول الشاعر :

مـا عَاتَـبَ الَمـرْءَ الكـريمَ كنفسـهِ   والمـرءُ يُصْلحُهُ الجليسُ الصـالحُ

أما الضربين الثالث والرابع ، فما جاد لفظه ولم يستحسن معناه ، أو ما لم يستحسن الاثنين معاً ، ولعل النزعة الفقهية والدينية أعطت دوراً واضحاً في تقسيم ابن قتيبة لهذه الأضرب [٤٨]، إذ نراه يعزف عن الأبيات أو المعاني ذات المضامين الغزلية والعاطفية ويعدّها من المعاني غير الجيدة أو الرديئة ، وعلى العكس من ذلك فالمعاني الجيدة عنده ما حملت دلالات دينية وأخلاقية وفلسفية ... وبهذا يكون ابن قتيبة قد طبّق معيار الجودة والرداءة كما وعدنا في مقدمته محاولا الابتعاد عن معيار (الزمن) في هذه الاضرب ، ولكن معيار الجودة والرداءة لديه هذا أيضاً يخضع لمعيار آخر، بعيد نسبياً عن الجوهر الفني للعمل الإبداعي ، فهو معيار ذو سياقات خارجية أيضاً .كما انه لم يفلح في الابتعاد بشكل كلي عن جوهر القضية الزمنية كما ألزم نفسه في مقدمته ، فقد جعل للشعر الجيد أو لجودة الشعر شروطا وأسسا تعيدنا إلى المعيار الزمني من جديد ، وذلك حين ألتزم الشاعر بهيكلية وأقسام القصيدة العربية التقليدية ، فألزمه سلوك ذاك المسلك في البناء مع ضرورة القدرة على التوفيق بين تلك الأقسام ، فهو يقول ((ليس للشاعر المحدث أن يخرج عن تلك الأسس والقواعد... فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدلَ بين هذه

الأقسام فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ولم يُطِل فيملّ السامعين ولم يقطعه بالنفوس ظمأ إلى المزيد)) [٤٩]، فجعل حيازة الجودة منوطا بهذه الشروط .

ولعل ما يشفع لابن قتيبة هنا أنه وإن كان قد ألزم الشعراء المحدثين بهذا البناء الصارم، إلا أنه في الوقت نفسه وقف بالضد من التقليد الأعمى أو الجامد لهذا البناء ، فالشاعر عنده يجب أن ينطلق من مكانه وزمانه وبيئته ، ويتوجب عليه أن يعبّر عنها بما يصادفه من مشاكلها ، ويبرز أحداثها من خلال إدراكه لوجودها ، ويعالج صورها بما يستجد من أوضاعها ، وقد كانت صيحته هذه إيذاناً بانتهاء التقليد الميت[٥٠].

وهذا يعني أن موقف ابن قتيبة من الشعراء الذين يحاولون الخروج على شكل القصيدة التقليدي كان موافقا لموقف علماء اللغة ورواة الأشعار المتعصبين للشعر القديم فيجعل بنية القصيدة التقليدية ، سراً وطوقاً لا يسمح للشاعر الخروج عليه ، لأن القدماء نهجوه ، ((وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مشيد البنيان لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر والرسم العافي أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير))[٥١] ، وقد وصف هذا الإصرار على الإلزام بحرفية الشكل التقليدي بالتناقض مع دعوته إلى إنصاف المحدث الذي يرى أن من حقه فسح المجال أمامه للتعبير عن حياته الحضرية .

ومن الالتفاتات المهمة أيضا في آراء ابن قتيبة إقصاؤه لعامل الكثرة ، فجودة الشعر لديه لا ترتبط بمعيار الكثرة ، كما هي الحال عند سابقيه ، ولذلك نجده يقول : ((ولا أحسب أحداً من أهل التمييز والنظر ، نظر بعين العدل وترك طريق التقليد يستطيع أن يقدّم أحدا من المتقدمين المكثرين على أحد إلا بأن يرى الجيد في شعره أكثر من الجيد في شعر غيره))[٥٢].

ومما يستجاد من كلامه تلك الإشارات الواضحة عن المتلقي بوصفه جزءا مهما من العملية الإبداعية ، على الشاعر أن يراعي نفسيته ومقامه في أثناء تأليفه وإلقائه لنصه ، فهو يقول : ((فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدّل بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ، ولم يطِل فيملّ السامعين ، ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد ..)) .[٥٣]

ولا شك أيضا ان جميع كلامه حول بواعث قول الشعر ، وتاراته ،إنما يأتي من التفاته إلى الجوانب النفسية والانفعالية عند المبدع أو الشاعر ، وهذا في رأينا يخفف قليلا من حدة الحكم الصارم الذي أطلقه محمد مندور على ابن قتيبة ((ولعل العيب الواضح في نظرة ابن قتيبة يرجع إلى منهجه العقلي فهو تقريري النزعة في كل شي وهو احدُّ تفكيرا منه إحساسا أدبيا وهو لا ينظر إلى الظواهر نظرة تاريخية بل نظرة منطقية تتناول الأشياء كما تقع)) [٥٤]، إذ ان اهتمام ابن قتيبة بالجوانب النفسية لركني العملية الإبداعية كما ذكرنا (المؤلف،المتلقي)، يشفع له بعض المزالق التي وقع فيها ، من جراء سيطرة النزعة العقلية عليه أحيانا.

ولذلك نعتقد أن النقد الأدبي القديم قد أفاد من بعض آراء ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء ،فضلا عن ما ذكره طه احمد إبراهيم من ((التنظيم والتحديد ووضع القواعد التي يستعين بها الناقد حتى ليكاد يلمس ما في الشعر من عنصر كريم أو هجين وغير ذلك))[٥٥].

كما أن ابتعاد ابن قتيبة عن المقياس الزمني نلحظه أيضا عندما طبق ما ألزم نفسه به ،من النظر بعدالة وموضوعية فنية إلى الشعراء حين ذكر أقسامهم وطبقاتهم ، إذ لم يكتف بالرواية للشعراء القدماء فحسب إنما ترجم للشعراء المحدثين أيضاً جنباً إلى جنب مع الشعراء الجاهليين والمخضرمين.

أما إذا أتينا على القسم الثاني من المتن فلا نكاد نرى فيه تطبيقا أو تحليلا نقديا لبعض ما جاء من آراء نقدية ، سواء في المقدمة أم في الجزء الأول من المتن ، فعمله فيه لا يتعدى الترجمة للشعراء ولحياتهم وأخبارهم ، وبذلك فان المؤلف لم يناقض كلامه أو منهجه مطلقا في مجمل المتن ، لان كلامه منذ المقدمة يشير إلى هذا الأمر بدقة ووضوح ، فقد جعل المتن في قسمين ، فصل في الأول منهما الحديث عن الشعر فحسب ، وفصل الحديث قي الثاني عن الشعراء فحسب : هذا كتاب ألفته في الشعراء

، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم، وأقدارهم، وأحوالهم في أشعارهم ، وقبائلهم، وأسماء آبائهم، ومن كان يعرف باللقب أو بالكنية منهم. وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطاء في ألفاظهم أو معانيهم، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون . ولذلك نراه يكتفي بالتعليق على معظم ما جاء من الشعر بهذه الإشارات :

١_ يذكر الشاعر وما استجيد من شعره وما لم يستجاد [٥٦]، فضلا عن أخبارهم وأنسابهم ....
٢_ يؤكد على مسالة (الأخذ) ، أي ما أخذه الشاعر من شاعر آخر ، سواء باللفظ أو المعنى وفي هذا إشارة واضحة لرسوخ نزعة الفصل بين اللفظ والمعنى لديه ، كما أشار في تقسيمه للشعر.[٥٧]
٣_ عدم الالتزام الصارم بآراء وأذواق من سبقه من النقاد ، فقد يذكر الرأي ويخالفه ، مسوغا ذلك تارة ، أو من غير تسويغ تارة أخرى[٥٨].

هوامش البحث :

١) ينظر : عتبات النَّص الأدبي ، بحث نظري: حميد الحمداني - مجلَّة علامات في النقد- النادي الأدبي بجدَّة- مج١٢-ع٤٦- شوَّال١٤٢٣هـ ،ص٢٣
٢) ينظر . عتبات النَّص الأدبي ، بحث نظري: حميد الحمداني - مجلَّة علامات في النقد : ٢٣ .
٣) ينظر :اطراس ، جيرار جينيت ، ترجمة وتقديم المختار حسني ، بحث مستل من الانترنيت . http://www.jamilhamdaoui.net
٤) ينظر :في التعالي النصي والمتعاليات النصية ، محمد الهادي المطوي ١٩٥ ، المجلة العربية للثقافة ، تونس ، السنة ١٦ ، العدد، ٣٢ . ١٩٩٧ ؛ وينظر: لماذا النص الموازي : جميل حمداوي المغرب ، بحث من الانترنيت ، موقع: الثقافة للجميع ، موقع الدكتور جميل حمداوي . http://www.jamilhamdaoui.net
٥) ينظر : اللغة الثانية في إشكاليه المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث: فاضل ثامر ،ص ١١٢ ، بيروت، الدار البيضاء، ط١ ، المركز الثقافي، ١٩٩٤ .

٦) ينظر : لماذا النص الموازي : د. جميل حمداوي المغرب، ؛ عتبات النص الأدبي ، بحث نظري : حميد الحمداني، ص ٢٣ ، مجلة علامات في النقد ، النادي الأدبي بجدة ، مج ١٢ ، ع ٤٦ ، شوال، ١٤٢٣ .
٧) شعرية عنوان الساق على الساق فيما هو الفرياق، الهادي المطوي، مجلة عالم الفكر، مجلد ٢٨، عدد١، الكويت ، ١٩٩٩: ٤٥٦.

٨) ينظر : م . ن : ٤٥٦ .
٩) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ،سعيد علوش:١٥ ، عرض وتقديم وترجمة دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، سوشبيرس .
١٠) خطاب الكتابة وكتابة الخطاب في رواية مجنون الألم ،عبد الرحمن زغلول ،مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،ع٩، ١٩٨٧ : ١٣٥ .

١١) العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور ،محمد عويس ،دار الهلال ،القاهرة ،ط٢ ، ١٩٩٩ :١٢ .
١٢) ينظر : النص وأبعاده ، قراءة في رواية كف مريم ، عبد القادر عقيل ،حميد إجماع ،مجلة البحرين الثقافية ، ع ٢٠ ، ١٩٩٩ ، :٢٠ .
١٣) ينظر : شعرية عنوان كتاب الساق : ٤٥٧ .
١٤) ينظر : عناوين الكتب بين القديم والحديث بين الجمالية والدلالية ،طراد الكبيسي ،مجلة عمان ، ع ٥٤ ، ١٩٩٩ :٣٦ .
١٥) ينظر : العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي :محمد فكري الجزار ، الهيئة العامة المصرية :١٦ .
١٦) ينظر : م . ن :١٦ .
١٧) ينظر : أدونيس والخطاب الصرفي – البناء النصي ، بلقاسم خالد ، مجلة فصول ، مج١٦ ، ع٢ ، ١٩٩٧:٧٧
١٨) ينظر: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي ، ٦٦ .

١٩) نقصد النسخة المحققة من احمد محمد شاكر ، دار المعارف ، كورنيش النيل ، القاهرة ،ج م ع .
٢٠) ينظر :تهذيب اللغة ، الأزهري ، تحقيق عبد السلام هارون ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب، القاهرة ،ج٩ : ٤٧ .
٢١) لسان العرب ،ابن منظور ، إعداد وتصنيف يوسف الخياط ،دار لسان العرب،بيروت ،مجلد ٣ ، مادة ق د م : ٣٦ .
٢٢) تاج العروس ، الزبيدي ، دار ليبيا للنشر والتوزيع،بنغازي ،١٩٦٦ ، مج ٩ : ٢٠ .
٢٣) المعجم الأدبي ، جبور عبد النور دار العلم للملايين ،بيروت ، ط١ ١٩٧٩: ٢٦١ .
٢٤) ينظر : المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني بيوت ،١٩٨٢، ج٢ : ٩ـ ٤ .
٢٥) المعجم الوسيط ،د. إبراهيم مصطفى ،طهران ج١ :٢٤٢ .
٢٦) القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ،المؤسسة العربية للطباعة والنشر ،دار الجيل ،لبنان : ٢٤٧ .
٢٧) معجم النقد العربي ، احمد مطلوب دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،ط١ ١٩٨٩، ج١ : ٢٠٠ .
٢٨) ينظر : فن الخطابة ، أرسطو ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ١٩٨٠ : ٢٣٥ .
٢٩) ينظر : مقومات مناهج التأليف العربي في مقدمات المؤلفين ، د. هاني صبحي العمد ،جمعية عمال المطابع التعاونية ،الأردن، ط١ ١٩٨٧ : ٤٠ .
٣٠) مقومات مناهج التأليف العربي في مقدمات المؤلفين ، د. هاني صبحي العمد :١٤٥ .
٣١) مقدمة كتاب الشعر والشعراء : ١٧ ـ ٢٠.
٣٢) مقدمة كتاب الشعر والشعراء : ١٧ .
٣٣) م . ن : ١٧.
٣٤) ينظر : م . ن : ١٨ .
٣٥) مقدمة كتاب الشعر والشعراء : ١٧ .
٣٦) مقدمة كتاب الشعر والشعراء : ١٨.

٣٧) ينظر على سبيل المثال : تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، طه احمد إبراهيم ، ص ١٢٣ – ١٢٩ ؛ وتاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري د. محمد زغلول سلام ، ص ١٠٩ – ١٢٣ ؛ ومحاضرات في النقد الأدبي، ناصر حلاوي وابتسام مرهون الصفار، ص ١٣٤ – ١٣٦ .

٣٨) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر ،ج٥ : ٢٩٤.

٣٩) القاموس المحيط ، ج٤ : ٢٧١.

٤٠) الشعر والشعراء : ٢٥ _ ٢٧ .

٤١) الشعر والشعراء : ٢٨ .

٤٢) م . ن : ٣٠ .

٤٣) الشعر والشعراء : ٣٠_ ٣١ .

٤٤) م . ن : ٣٢ .

٤٥) م . ن : ٣٣.

٤٦) م . ن : ٣٧.

٤٧) م . ن : ٣٩ .

٤٨) ينظر مقالات في تاريخ النقد ، داوود سلوم : ٥٦ .

٤٩) الشعر والشعراء : ٢٨ .

٥٠) ينظر: مقالات في تاريخ النقد ، داوود سلوم : ٥٦ .

٥١) ينظر : الشعر والشعراء : ٢٨ .

٥٢) م . ن : ٣٢ .

٥٣) م . ن : ج١ ، ٧٦ .

(٥٤) النقد المنهجي عند العرب : محمد مندور دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص ٤٨ .

٥٥) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، طه احمد إبراهيم: ١٢٨.

٥٦) ينظر : الشعر والشعراء :٩٧، ١١٩،١٠١ .

٥٧) ينظر : م . ن : ١٠٧، ١١٦ ، ١٥٠ .

٥٨) ينظر : م . ن : ٩٨ ، ١٢٨ .

قائمة المصادر والمراجع :

- تاج العروس ، الزبيدي ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، مج ٩ ، ١٩٦٦.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، طه احمد إبراهيم ،دار الحكمة ، بيروت ، لبنان .
- تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١١١٩ .
- تهذيب اللغة ، الأزهري ، تحقيق عبد السلام هارون ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب ، القاهرة .
- الشعر والشعرء ، ابن قتيبة ، تحقيق احمد محمد شاكر ، دار المعارف ، كورنيش النيل ، القاهرة ، ج م ع ، ١١١٩ .

أحيانا	نادرا

- العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور ،محمد عويس ،دار الهلال ،القاهرة ،ط٢، ١٩٩٩.
- العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي ، محمد فكري الجزار ، الهيئة العامة المصرية.
- فن الخطابة ، أرسطو ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ١٩٨٠ .
- القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ،المؤسسة العربية للطباعة والنشر ،دار الجيل ،لبنان ، ٢٤٧ .
- لسان العرب ،ابن منظور ، إعداد وتصنيف يوسف الخياط ،مجلد ٣ ، دار لسان العرب ، بيروت.
- اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي ، فاضل ثامر ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط ١ ، المركز الثقافي ، ١٩٩٤ .
- محاضرات في النقد الأدبي ،د. ابتسام مرهون الصفار ود. ناصر حلاوي ، ط ٢ ، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩٩.
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ،سعيد علوش ، عرض وتقديم وترجمة دار الكتاب اللبناني ، بيروت، سوشبيرس .
- معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ،ج٥ ، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٧٣ .
- معجم النقد العربي ، احمد مطلوب دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،ط١ ، ج١، ١٩٨٩.
- المعجم الأدبي ، جبور عبد النور دار العلم للملايين ،بيروت ،ط١ ،١٩٧٩.
- المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ج٢، ١٩٨٢
- المعجم الوسيط ،د. إبراهيم مصطفى ، ج١، طهران ، ١٩٧٨ .
- مقالات في تاريخ النقد العربي ، د. داوود سلوم ، دار الرشيد ، دار المطبعة ، بيروت ، ١٩٨١
- مقومات مناهج التأليف في مقدمات المؤلفين ، د. هاني صبحي العمد جمعية عمال المطابع التعاونية ، الأردن ، ط١ ، ١٩٧٨ .
- النقد المنهجي عند العرب ، محمد مندور ،دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة ، القاهرة

المجلات والدوريات :

١ – أدونيس والخطاب الصرفي – البناء النصي – بلقاسم خالد ، مجلة فصول ، مج١٦ ع٢ ، ١٩٩٧ .
٢ – خطاب الكتابة وكتابة الخطاب في رواية مجنون الألم ،عبد الرحمن زغلول ،مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،ع٩، ١٩٨٧ .
٣ - شعرية عنوان كتاب الساق على الساق في ما هو الفارياق ، الهادي المطوي ،مجلة عالم الفكر مج٢٨،ع١،الكويت، ١٩٩٩ .
٤ – عتبات النص الأدبي ، بحث نظري ، حميد الحمداني، مجلة علامات في النقد ، النادي الأدبي بجدة ، مج ١٢ ، ع ٤٦ ، شوال، ١٤٢٣
٥ - عناوين الكتب بين القديم والحديث بين الجمالية والدلالية ، طراد الكبيسي . مجلة عمان ، ع ٥٤ ، ١٩٩٩ .
٦ - لماذا النص المتوازي ، د . جميل حمداوي المغرب ، بحث من الانترنيت ، موقع الثقافة للجميع ، موقع الدكتور جميل حمداوي . http://www.jamilhamdaoui.net
٧ - في التعالي النصي والمتعاليات النصية ، محمد الهادي المطوي ١٩٥ ، المجلة العربية للثقافة ، تونس ، السنة ١٦ ، العدد، ٣٢ .
٨ - النص وأبعاده ، قراءة في رواية كف مريم ، عبد القادر عقيل ،حميد إجماع ،مجلة البحرين الثقافية ، ع ٢٠ ، ١٩٩٩.